الباب الأول

السحر في القرآن الكريم والسنة النبوية

الآيات التي ذكرت السحر والسحرة:

لقد جاء ذكر السحر في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، مبينة وجود السحر وحقيقته؛ لذا لا يجوز لمسلم أن ينكر السحر وحقيقته، ومن أنكر وجود السحر فقد أنكر نصوص القرآن والسنة، وإليك بعض الآيات التي جاءت تذكر السحر والسحرة:

قال تعالى: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [يونس: ٨١].

وقال تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ** ﴾ [يونس: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾ [طه: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿ **قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي**

عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٠].

وقال تعالى: (﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [يونس: ٧٩].

obeikandl.com

ذكر السحر في السنة المطهرة:

روى البخاري ومسلم عن عائشة قالت: "سُحر النبي ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: (أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان: فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومَنْ طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان). فخرج إليها النبي ﷺ ثم رجع، فقال لعائشة حين رجع: (نخلها كأنه رؤوس الشياطين). فقلت: استخرجته؟ فقال: (لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً). ثم دفنت البئر[1].

وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"[2].

قال المناوي: (والثانية - من السبع الموبقات - السحر، قال الحراني: وهو قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في ضمنها من سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله تعالى عليه. وفي حاشية الكشاف للسعد: هو مزاولة النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة، قال التاج السبكي: والسحر والكهانة والتنجيم والسيمياء من وادٍ واحد) (فيض القدير ١/١٥٣).

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (١/٢٦).

وروى أبو داود بإسناد حسن وابن ماجة وصححه عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد"[1].

قال المناوي: ("من اقتبس" أي: تعلم من قبست من العلم واقتبست من الشيء إذا تعلمته، والقبس شعبة من النار، واقتباسها الأخذ منها. "علماً من النجوم" أي: من علم تأثيرها لا تسييرها، فلا يناقض ما سبق من خبر: (تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر). "اقتبس شعبة" أي: قطعة". من السحر "المعلوم تحريمه ثم استأنف جملة أخرى بقوله: "زاد ما زاد" يعني كلما زاد من علم النجوم زاد من الإثم مثل إثم الساحر، أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاده اقتباس علم النجوم. ومن زعم أن المراد زاد النبي ﷺ على ما رواه ابن عباس عنه في حق علم النجوم فقد تكلف، ونُكِّر (علماً) للتقليل، ومن ثم خص الاقتباس؛ لأن فيه معنى العلة ومن النجوم صفة علما وفيه مبالغة. ذكره الطيبي. وذلك لأنه يحكم على الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فعلم تأثير النجوم باطل محرم وكذا العمل بمقتضاه كالتقرب إليها بتقريب القرابين لها كفر، كذا قاله ابن رجب.

(تنبيه):

قال بعض العارفين: أصناف حكماء عقلاء السالكين إذا حاولوا جلب نفع أو دفع ضر لم يحاولوه بما يجانسه من الطبائع؛ بل حاولوه بما هو فوق رتبته من عالم الأفلاك مثلاً التي رتبتها غالبة

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من حديث عبد الله بن عباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٦٠٧٤).

رتب الطبائع ومستولية عليها فحاولوا ما يرومونه من أمر ظاهر لتلك بما هو أعلى منه: كالطلاسم واستنزال الروحانيات المنسوبة عندهم للكواكب. وهذا الاستيلاء الروحاني الفلكي الكوكبي على عالم الطبيعة هو المسمى علم السيمياء، وهو ضرب من السحر؛ لأنه أمر لم يتحققه الشرع، ولا يتم ولا يتحقق مع ذكر الله عليه؛ بل يبطل ويضمحل اضمحلال السراب عند غشيانه، وإلى نحوه يشير هذا الخبر) (فيض القدير ٦/٨٠).

وروى الطبراني عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس منا مَنْ تطيّر ولا من تُطيّر له، أو تَكهّن أو تُكهّن له، أو سَحر أو سُحر له"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"(٢).

قال المناوي: ("من أتى عرافاً أو كاهناً" وهو من يخبر عما يحدث أو عن شيء غائب أو عن طالع أحد بسعد أو نحس أو دولة أو محنة أو منحة. "فصدقه" إن الغرض إن سأله معتقداً صدقه، فلو فعله استهزاء معتقدا كذبه فلا يلحقه الوعيد، ومصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر، وإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته من الملائكة وأنه بإلهام فصدقه من هذه الجهة فلا يكفر، قال

(١) صحيح: رواه الطبراني وغيره من حديث عمران بن حصين، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٥٤٣٥).

(٢) صحيح، رواه أحمد وغيره من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٥٩٣٩).

obeikandl.com

الراغب: العرافة مختصة بالأمور الماضية، والكهانة بالحادثة، وكان ذلك في العرب كثيراً) (فيض القدير٦/٢٣).

وعن بعض أمهات المؤمنين: قال رسول الله ﷺ: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[1].

قال المناوي: ("من أتى عرافاً" وهو من يخبر بالأمور الماضية أو بما أخفي، وزعم أنه هو الكاهن يرده جمعه بينهما في الخبر الآتي، قال النووي: والفرق بين الكاهن والعراف أن الكاهن إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن المستقبلة ويزعم معرفة الأسرار، والعراف يتعاطى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. ومن الكهنة من يزعم أن جنياً يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يدعي إدراك الغيب بفهم أعطيه وإمارات يستدل بها عليه، وقال ابن حجر: الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الأمور المغيبة. وكانوا في الجاهلية كثيراً؛ فمعظمهم كان يعتمد على من تابعه من الجن، وبعضهم كان يدعي معرفة ذلك بمقدمات أسباب يستدل على مواقعها من كلام من يسأله، وهذا الأخير يسمى العراف. "فسأله عن شيء" أي: من المغيبات ونحوها. "لم تقبل له صلاة أربعين ليلة" خص العدد بالأربعين على عادة العرب في ذكر الأربعين والسبعين ونحوهما للتكثير، أو لأنها المدة التي ينتهي إليها تأثير تلك المعصية في قلب فاعلها وجوارحه وعند انتهائها ينتهي ذلك التأثير، ذكره القرطبي، وخص الليلة؛ لأن من عاداتهم ابتداء الحساب بالليالي، وخص الصلاة لكونها عماد الدين) (فيض القدير٦/٢٢، ٢٣).

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠) وانظر صحيح الجامع (٥٩٤٠).

عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: (سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان، فقال: ليس بشيء، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليّه، فيخلطون معها مئة كذبة) (متفق عليه).[1]

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (والكهانة - بفتح الكاف ويجوز كسرها- ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن. والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم. ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه. وقال في (المحكم): الكاهن القاضي بالغيب. وقال في (الجامع): العرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً. وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين؛ لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه. وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب؛ لانقطاع النبوة فيهم. وهي على أصناف:

- منها ما يتلقونه من الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء

(١) مشكاة المصابيح (٤٥٩٣).

من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، فيقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] . وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً، حتى كاد يضمحل ولله الحمد.

- ثانيها: ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره، مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

- ثالثها: ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

- رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وكل ذلك مذموم شرعاً) (فتح الباري ٢١٦/١٠، ٢١٧).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، أو أتى امرأة حائضاً، أو أتى امرأة في دبرها، فقد برئ مما أنزل على محمد»[1].

قال المباركفوري: (أو كاهناً" قال الجزري في الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار. وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما. فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن ورئِيّاً يلقي إليه الأخبار، ومنهم

(١) صحيح، رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٤٢).

من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها مِنْ كلام مِنْ يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف، كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما. والحديث الذي فيه: (من أتى كاهناً). قد يشتمل على إتيان الكاهن والعراف والمنجم. انتهى كلام الجزري. وقال الطيبي: «أتى» لفظ مشترك هنا بين المجامعة وإتيان الكاهن. قال القاري: الأولى أن يكون التقدير أو صدق كاهناً، فيصير من قبيل (علّفتها ماء وتبنا بارداً) أو يقال: من أتى حائضاً أو امرأة بالجماع أو كاهناً بالتصديق انتهى. "فقد كفر بما أنزل على محمد" الظاهر أنه محمول على التغليظ والتشديد كما قاله الترمذي. وقيل: إن كان المراد الإتيان باستحلال وتصديق فالكفر محمول على ظاهره، وإن كان بدونهما فهو على كفران النعمة) (تحفة الأحوذي ٣٥٥/١).

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: (قدمت امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحرة لم تعمل به، قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها حتى إني لأرحمها وهي تقول: إني لأخاف أن أكون قد هلكت، كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت إليها فقالت: إن فعلت ما آمرك فلعله يأتيك، فلما أن كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما، وركبت الآخر، فلم يكن مكثي حتى وقفنا ببابل، فإذا أنا برجلين معلقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك، فقلت: أتعلّم السحر، فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي،

فأبيت وقلت: لا، قالا: فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت وفزعت فلم أفعل، فرجعت إليهما فقالا لي: فعلت؟ قلت: نعم. قالا: هل رأيت شيئاً؟ فقلت: لم أرَ شيئاً، فقالا: لم تفعلي ارجعي إلى بلادك ولا تكفري. فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقالا: ما رأيت؟ فقلت: لم أرَ شيئاً، فقالا: كذبتِ، لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فإنك على رأس أمرك فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت فبُلتُ فيه، فرأيت فارساً مقنعاً بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء فغاب عني حتى ما أراه، فأتيتهما فقلت: قد فعلت، فقالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارساً مقنعاً بحديد خرج مني فذهب في السماء فغاب عني حتى ما أرى شيئاً، قالا: صدقت ذلك إيمانك خرج منك فاذهبي، فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً، وما قالا لي شيئاً، فقالت: بلى، إن تريدين شيئاً إلا كان، خذي هذا القمح فابذري فبذرت، فقلت: اطلعي فطلعت، وقلت: احقلي فحقلت، ثم قلت: افرخي فأفرخت، ثم قلت: ايبسي فيبست، ثم قلت: اطحني فطحنت، ثم قلت: اخبزي فخبزت، فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين، ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً، فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حداثة وفاة رسول الله ﷺ وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما يقولون لها، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنهم قالوا: لو كان أبواك حيين أو أحدهما لكانا يكفيانك). (رواه الحاكم بلفظه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي وصححه، ورواه أيضاً البيهقي بنحوه/ المستدرك على الصحيحين للحاكم وبذيله التلخيص للذهبي ٤/١٥٦، ١٥٥).

السحر بين الحقيقة والتخييل:

قال القرطبي في تفسيره:

ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة وأبو إسحاق الإِسْتِرَبَاذِيّ من أصحاب الشافعي إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لكون الشيء على غير ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة كما قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ولم يقل: تسعى على الحقيقة، ولكن قال: يخيل إليه، وقال أيضاً: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] وهذا لا حجة فيه؛ لأنا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل وورد بها السمع، فمن ذلك ما جاء في هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه ولا أخبر تعالى أنهم يعلّمونه الناس فدل على أن له حقيقة.

وقوله تعالى في قصة سحرة فرعون: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم وهو مما خرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، الحديث، وفيه: (أن النبي ﷺ قال لما حل السحر: إن الله شفاني) والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدل على أن له حقاً وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بأقوال المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق، ولقد شاع السحر

وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه، ولم يبدُ من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله"[1].

ويقول الإمام المازري فيما نقله عنه الإمام النووي:

وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال، ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق، أو تركيب أجسام، أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر. وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم، ومنها مسقمة كالأدوية الحادة، ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة، أو كلام مهلك، أو مؤدٍ إلى التفرقة. "[2]

ويقول الإمام العيني:

"هذا باب في بيان السحر وأنه ثابت محقق؛ ولهذا أكثر البخاري في الاستدلال عليه بالآيات الدالة عليه والحديث الصحيح، وأكثر الأمم من العرب والروم والهند والعجم بأنه ثابت

(١) تفسير القرطبي (٢/٢٧٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٤٧).

وحقيقته موجودة وله تأثير، ولا استحالة في العقل في أن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام ونحوه على وجه لا يعرفه كل أحد.

وأما تعريف السحر فهو أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا يتعذر معارضته، وأنكر قوم حقيقته وأضافوا ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقيقة لها وهو اختيار أبي جعفر الإستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري، والصحيح قول كافة العلماء يدل عليه الكتاب والسنة"[1].

محل الخلاف:

السحر موجود في الحقيقة، لا يمكن إنكاره إلا مكابرة، ومحل النزاع بين جماهير أهل العلم الذين أثبتوا السحر وبين من نفوا وجود السحر واقع على ماهية السحر، هل يقع بالسحر انقلاب لحقيقة الشيء أو لا؟ فمن قال: إنه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال: إن له حقيقة اختلفوا: هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعًا من الأمراض، أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانًا مثلاً وعكسه؟

فالذي عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني. فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل خلاف، فإن كثيرًا ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه.

وقال الخطابي: إن قومًا أنكروا السحر مطلقًا، وكأنه عنى القائلين بأنه تخيل فقط وإلا فهي مكابرة.

---

(١) عمدة القاري (٢٧٧/٢١).

هل سحر رسول الله ﷺ؟

ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ سُحِر، وجمهور علماء أهل السنة أثبتوا الحديث، لروايته من طرق صحيحة، وكان لهم في توجيهه تأويلات شتى، كلها تؤكد عصمة النبي ﷺ وتنفي عنه ما لا يليق به، كما حفلت بذلك كتب الشروح.

وردَّ الحديثَ بعضُ المبتدعة من قديم، وسار على نهجهم قليل من المحدثين، ونسوق هنا نص الحديث، وكلام أهل العلم عليه.

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا عيسى بن يونس عن هشام عن أبيه، عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله (في رواية البخاري من حديث في باب هل يستخرج السحر حديث (٥٧٦٥) من طريق ابن عيينة أن عائشة قالت: "حتى كان يرى أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن"، وهو تفسير وبيان لما أجمل وعمم في هذه الرواية).

حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا ثم قال: "يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفيته فيه (أي أجابني فيما دعوته فيه)؟ أتاني رجلان (في رواية عند أحمد والطبراني: أتاني ملكان). فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب (مطبوب: أي مسحور، يقال: طب بضم الطاء إذا سحر كنوا عن الطب تفاؤلاً). قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشْط (المشط: معروف وهو ما يسرح به شعر

الرأس أو اللحية). ومُشاطة (المشاطة: ما يخرج من الشعر الذي يسقط من الرأس إذا سرح بالمشط، وكذا اللحية. كما قال ابن قتيبة). وجف طَلْع نخلة ذكر (وهو الغشاء الذي يكون على الطلع). قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروانَ". فأتاها رسول الله ﷺ وناس من أصحابه. فجاء فقال: "يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء (أي إن لون مائها أحمر كالماء الذي ينقع فيه الحناء). وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين (تشبيه يراد منه التقبيح؛ لأن كل ما ينسب إلى الشيطان مستقبح شرعًا وعرفًا)." قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: "قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا". فأمر بها فدفنت "[1].

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث في "الفتح":

قوله: "باب السحر" قال الراغب وغيره: السحر يطلق على معانٍ:

أحدها: ما لطف ودق، ومنه سحرت الصبي خادعته واستملته، وكل من استمال شيئًا فقد سحر، ومنه قول الأطباء: الطبيعة ساحرة، ومنه قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ**﴾ [الحجر: ١٥]. أي: مصروفون عن المعرفة، ومنه حديث: "إن من البيان سحرًا".

الثاني: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿**يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ**﴾ [طه: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿**سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ**﴾ [الأعراف: ١١٦]. ومن هنا سموا

(١) أخرجه البخاري في: كتاب الطب. باب السحر. حديث (٥٧٦٣). البخاري المطبوع مع الفتح. ط دار الفكر ببيروت، المصورة عن السلفية بالقاهرة).

موسى ساحرًا، وقد يستعين في ذلك بما يكون فيه خاصية بالحجر الذي يجذب الحديد المسمى المغناطيس.

الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الرابع: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم.

قال ابن حزم: ومنه ما يوجد من الطلسمات كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب، فينفع إمساكه من لدغة العقرب، وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب وهي سرقسطة فإنها لا يدخلها ثعبان قط إلا إن كان بغير إرادته، وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين، كالاستعانة بالشياطين، ومخاطبة الكواكب، فيكون ذلك أقوى بزعمهم.

قال أبو بكر الرازي في "الأحكام" له: كان أهل بابل قومًا صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة، ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم، وعملوا أوثانًا على أسمائها، ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام وكانت علومهم أحكام النجوم، ومع ذلك فكان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر وينسبونها إلى فعل الكواكب؛ لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم».

ثم السحر يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها، ويطلق ويراد به فعل الساحر، والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط، كالرقي والنفث في العقد، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصور على صورة المسحور، وتارة بجمع الأمرين الحسي والمعنوي وهو أبلغ.

ما تأثير السحر:

قيل: لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿**يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ لكون المقام مقام تهويل، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره.

وقال المازري: والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، قال: والآية ليست نصًا في منع الزيادة، ولو قلنا: إنها ظاهرة في ذلك، ثم قال: والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال، حتى يتم الساحر بما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالبًا اتفاقًا، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي.

ونقل النووي في زيادات الروضة عن المتولي نحو ذلك، وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسكًا بالشريعة، متجنبًا للموبقات، فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر؛ لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين.

وقال القرطبي: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته، وأكثرها تخييلات بغير حقيقة، وإيهامات بغير ثبوت، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿**وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**﴾ [**الأعراف**: ١١٦].

مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصيًا. ثم قال: والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرًا في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وإنما

المنكور أن الجماد ينقلب حيوانًا أو عكسه بسحر الساحر ونحو ذلك.

قوله: "سحر النبيَّ ﷺ رجلٌ من بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم "ووقع في رواية عبد الله بن نمير عن هشام بن عروة عند مسلم" سحر النبي ﷺ من يهود بني زريق حليف اليهود وكان منافقًا"، ويجمع بينهما بأن من أطلق أنه يهودي نظر إلى ما في نفس الأمر، ومن أطلق عليه منافقًا نظر إلى ظاهر أمره.

وقال ابن الجوزي: هذا يدل على أنه كان أسلم نفاقًا وهو واضح، وقد حكى عياض في "الشفاء" أنه كان أسلم.

ويحتمل أن يكون قيل له يهودي؛ لكونه كان من حلفائهم، لا أنه كان على دينهم. وبنو زريق بطن من الأنصار مشهور من الخزرج، وكان بين كثير من الأنصار وبين كثير من اليهود قبل الإسلام حلف وإخاء وود، فلما جاء الإسلام ودخل الأنصار فيه تبرؤوا منهم.

قوله: " حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله "، قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحطّ منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوحَ إليه بشيء. وقال المازري: وهذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في

ذلك عرضة لما يتعرض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطئهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

قال ابن حجر: وقد ورد هذا صريحاً في رواية ابن عيينة، ولفظه:

"حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن" وفي رواية الحميدي "أنه يأتي أهله ولا يأتيهم، قال الداودي: "يُرَى" بضم أوله أي: يظن، وقال ابن التين: ضبطت "يرى" بفتح أوله، قلت: وهو من الرأي لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن. وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق "سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره» وعنده في مرسل سعيد بن المسيب" حتى كاد ينكر بصره".

قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده.

قلت: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد: "فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبيًا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله". قلت: فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح".

وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك. وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة.

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخييل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سباق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن "المعقود" (المعقود: ويسمى عرفًا المربوط، وهو من حبسه السحر عن القدرة على الاتصال بزوجته). ويكون قوله في الرواية الأخرى "حتى كاد ينكر بصره" أي: صار كالذي أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته، فإذا تأمله عرف حقيقته. ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلب: صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أن شيطانًا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه، فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصًا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين.

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: " أما أنا فقد شفاني الله"، وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المدعي أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل: "فكان يدور ولا يدرى ما وجعه"، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد: "مرض النبي ﷺ وأُخِذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان" الحديث.

قوله: "وهو عندي لكنه دعا ودعا" كذا وقع، وفي الرواية الماضية في بدء الخلق "حتى كان ذات يوم دعا ودعا"، وكذا علقه المصنف لعيسى بن يونس في الدعوات، ومثله في رواية الليث. قال

الكرماني: يحتمل أن يكون هذا الاستدراك من قولها "عندي" أي لم يكن مشتغلاً بي بل اشتغل بالدعاء، ويحتمل أن يكون من التخيل، أي كان السحر أضره في بدنه لا في عقله وفهمه، بحيث إنه توجه إلى الله ودعا على الوضع الصحيح والقانون المستقيم.

ووقع في رواية ابن نمير عند مسلم: "فدعا، ثم دعا، ثم دعا" وهذا هو المعهود منه أنه كان يكرر الدعاء ثلاثًا. وفي رواية وهيب عند أحمد وابن سعد: فرأيته يدعو.

قال النووي: فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره والالتجاء إلى الله تعالى في دفع ذلك.

قال ابن حجر: سلك النبي ﷺ في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أول الأمر فوض وسلم لأمر ربه، فاحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عبادته جنح إلى التداوي، ثم إلى الدعاء، وكل من المقامين غاية في الكمال.

قوله: "قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته" في رواية أبي أسامة، فقال: لا" ووقع في رواية ابن عيينة أنه استخرجه، وأن سؤال عائشة إنما وقع عن النشرة فأجابها بلا.

قوله: "فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا" في رواية الكشميهي: "سوءًا" ورفع في رواية أبي أسامة "أن أُثَوِّر" بفتح المثلثة وتشديد الواو وهما بمعنى، والمراد بالناس التعميم في الموجودين.

قال النووي: خشي من إخراجه وإشاعته ضررًا على المسلمين من تذكر السحر وتعلمه ونحو ذلك، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة.

ووقع في رواية ابن نمير "على أمتي" وهو قابل أيضًا للتعميم؛ لأن الأمة تطلق على أمة الإجابة وأمة الدعوة وعلى ما هو أعم، وهو يرد على من زعم أن المراد بالناس هنا لبيد بن الأعصم؛ لأنه كان منافقًا فأراد ﷺ ألا يثير عليه شرًا؛ لأنه كان يؤثر الإغضاء عمن يظهر الإسلام، ولو صدر منه ما صدر، وقد وقع أيضًا في رواية ابن عيينة: «وكرهت أن أثير على أحد من الناس شرًا».

نعم، وقع في حديث عمرة عن عائشة، فقيل: يا رسول الله، لو قتلته، قال: "ما وراءه من عذاب الله أشد"، وفي رواية عمرة: "فأخذه النبي ﷺ فاعترف فعفا عنه"، وفي حديث زيد بن أرقم: "فما ذكر رسول الله ﷺ لذلك اليهودي شيئًا مما صنع به ولا رآه في وجهه".

وفي مرسل عمر بن الحكم: "فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: حب الدنانير".

وقد تقدم في كتاب الجزية قول ابن شهاب أن النبي ﷺ لم يقتله.

وأخرج ابن سعد من مرسل عكرمة أيضًا أنه لم يقتله، ونقل عن الواقدي أن ذلك أصح من رواية من قال: إنه قتله، ومن ثم حكى عياض في "الشفاء" قولين: هل قتل، أم لم يقتل؟

وقال القرطبي: لا حجة على مالك (أي في قوله بقتل الساحر) من هذه القصة؛ لأن ترك قتل لبيد بن الأعصم كان لخشية أن يثير بسبب قتله فتنة، أو لئلا ينفر الناس من الدخول في الإسلام، وهو من جنس ما رعاه النبي ﷺ من منع قتل المنافقين حيث قال: "لا

يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه" (الحديث (٥٧٦٣) فتح الباري١٠/٢٢١، ٢٣٢).

يقول الدكتور يوسف القرضاوي بعد ذكره كلام ابن حجر السابق:

هذا بعض ما ذكره الشراح حول حديث سحر اليهود للنبي ﷺ وهو يبين مدى ما أثاره الحديث من استشكالات، ومدى اهتمام العلماء بمواجهتها ببينات النقل والعقل.

فلا عجب أن يكون هذا الحديث مثار اهتمام لدى العقل الحديث، وخصوصًا بعد التقائه بعقول الآخرين، وتعرفه على أفكارهم.

هل أنكر الشيخ رشيد رضا حديث سحر النبي ﷺ؟

إليك ما ذكره في نهاية تفسير سورة الفلق، من قصار السور تحت عنوان: علاوة لتفسير السورة في حديث سحر منافق من أشرار اليهود للنبي ﷺ.

وبعد أن ذكر رواية الشيخين للحديث من طريق عائشة - رضي الله عنها - وهي التي أوردناها من قبل أشار إلى الرواية الأخرى، حيث قال: وفي رواية الشيخين: كان ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن بنحوه، وفيه: سحره رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقًا (بنو زريق بطن من الخزرج فهو على هذه الرواية يهودي بالحلف لا بالنسب).

وعن زيد بن أرقم: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا فأتاه جبريل، فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك عقد لك عقدًا في بئر كذا وكذا فأرسل ﷺ فاستخرجها فحلها فقام كأنما

أنشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط. رواه النسائي. والأيام جمع قلة، ولكن بالغ بعض الرواة في غير الصحيحين فجعلوها أشهرًا.

قال السيد رشيد: فهذا الحديث صريح في أن المراد من السحر فيه خاص بمسألة مباشرة النساء، ولكن فهم أكثر العلماء أنه ﷺ سحر سحرًا أثر في عقله، كما أثر في جسده. فأنكره بعضهم، وبالغوا في إنكاره، وعدوه مطعنًا في النبوة، ومنافيًا للعصمة؛ لقول عائشة: حتى إنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء، ولم يكن فعله. فعظمت هذه الرواية على علماء المعقول، وعدّوها مخالفة للقطعي في النقل.

وهو ما حكاه اللّه تعالى عن المشركين من طعنهم فيه كعادة أمثالهم في رسلهم بقولهم: ﴿**إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً**﴾ [الفرقان: ٨] وتفنيده تعالى لهم بقوله: ﴿**انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾ [الفرقان: ٩]. ومخالفة للقطعي في العقل من عصمة النبي ﷺ من كل ما ينافي النبوة والثقة بها؛ إذ يدخل في ذلك التخييل ما هو من التشريع، ومخالفة لعلم النفس الذي يعلم منه أن الأنفس السافلة الخبيثة لا تؤثر في الأنفس العالية الطاهرة، فأنكر صحة الرواية بعض العلماء، وأقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين الفقهاء: أبو بكر الجصاص في كتابه" أحكام القرآن" وآخرهم: شيخنا الأستاذ الإمام في تفسير"جزء عم".

وقد أطال شيخنا في هذا وبالغ فيه. وبنى إنكاره له على القاعدة المتفق عليها عند علماء العقائد وأصول الفقه في معارضة الظني للقطعي، إذ الحديث آحاد، وهو يفيد الظن، فيرد بالقطعي

عقلاً ونقلاً، وهو ما ذكرناه آنفًا، وقد اتفقوا على أن أحاديث الآحاد لا يحتج بها في أصول العقائد. وقال: إن كونه يفيد الظن خاص بمن صح عنده، وإن له أن يتأوله أو يفوض الأمر فيه، على قاعدتهم الأخرى في النصوص المعارضة للعقل. ولعمري إن ما نعرفه عن شيخنا محمد عبده من إجلاله وإكباره لشأن محمد رسول اللّه وخاتم النبيين في نفسه الزكية، وروحه القدسية، وعلو مداركه العقلية، مما لم نعرف مثله عن أحد من العلماء العقليين كفلاسفة المسلمين ومتكلميهم، ولا من العلماء الروحيين كالصوفية، ولا من علماء النقل كجامعي الروايات الكثيرة في معجزاته ﷺ وحسبك منها تلك الإثارة البليغة في رسالة التوحيد، بل كان يقول: إن روحه ﷺ كانت منطوية على جملة هداية الدين ومدارك التشريع التي فصلت في كتاب اللّه تعالى وسنته تفصيلاً تامًا، كما نقلناه عنه في تاريخه.

وأجاب عن الرواية المحدثون المصححون لها علمًا والمقلدون لهم بأن غاية ما تدل عليه: أن ذلك السحر إنما أثر في بدنه دون روحه وعقله، فكان تأثيره من الأعراض الجسدية، كالأمراض التي لم يعصم الأنبياء عليهم السلام منها.

وقد محصت هذه المسألة مرارًا، آخرها في الرد على مجلة الأزهر" نور الإسلام " في زعمها المفترى أنني كذّبتُ حديث البخاري في سحر النبي ﷺ فبينت: أن الحديث الصحيح في المسألة عن عائشة- رضي الله عنها- توهم عبارة بعض رواياته ما هو أعم من المعنى الخاص الذي أرادته منه، وهو مباشرة الزوجية بينه ﷺ وبينها، فقولها: كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لم يفعله كناية عن هذا الشيء الخاص، لا عام في كل شيء، فلا يدخل فيه شيء

من أمور التشريع، ولا غير غشيان الزوجية من الأمور العقلية، أو الأمراض البدنية، فضلاً عما كان يريده الذين يرمون الأنبياء بسحر الجنون؛ لأن أمورهم فوق المعقول عند أولئك الكافرين، فالمسألة محصورة فيما يسمونه حتى الآن " الربط " أو "العقد" أي عقد الرجل المانع من مباشرة زوجته فقط.

وبينت أيضًا أن الرواية في أصح أسانيدها عند الشيخين عن هشام عن أبيه عن عائشة فيها علة من علل الحديث الخفية التي يشترط في صحة الحديث السلامة منها، وهي أن بعض منكري الحديث أعلوه بهشام هذا، وألف بعضهم كتابًا خاصًا فيه، محتجًا بقول بعض علماء الجرح والتعديل: إنه كان في العراق يرسل عن أبيه عروة بن الزبير ما سمعه من غيره، وعروة هو راوية عائشة الثقة، وهي خالته. وقال ابن خراش: كان مالك لا يرضاه، يعني هشامًا، وقد نقم منه حديثه لأهل العراق، وقال ابن القطان: تغير قبل موته.

ولا شك في أن تعديل الجماعة له ومنهم الشيخان خاص بما رواه قبل تغيره، فهذا عذر من طعن في روايته لهذا الحديث الذي أنكروا متنه بما علمت، والأمر فيه أهون مما قالوا (راجع تفصيل المسألة في: كتاب المنار والأزهر ص ٩٥ -١٠٥). فالتحقيق أنه خاص بمسألة الزوجية، كما جاء التصريح به في الرواية الثانية كما تقدم، ولا يعتد بغير هذا.

أما ما رواه البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس في مرضه ﷺ أنه كان شديدًا، وأنه كان سحرًا في بئر تحت صخرة في كربة (الكرب: أصول السعف التي تقطع معها، وواحدتها: كربة. المصباح

المنير)، وأنهم أخرجوها فأحرقوها فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه هاتان السورتان يعني المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ا.هـ ملخصًا، فهذا حديث باطل مخالف لحديث الصحيحين في المسألة، ولروايات نزول السورتين بمكة، وهو من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي هذا متهم بالكذب، وطريقه أوهى الطرق عن ابن عباس، واسمه محمد بن السائب.

وأما ما رواه أبو نعيم في الدلائل عن أنس قال: صنعت اليهود للنبي ﷺ شيئًا فأصابه من ذلك وجع شديد، فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه ألم به، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما، فخرج إلى أصحابه صحيحًا، فهو من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، وهما ضعيفان. وليس في متنه ذكر السحر ولا أن المعوذتين نزلتا في ذلك الوقت، ولا في أي شيء من روايات الصحيحين. فالاستدلال به على أنهما مدنيتان ضعيف، فالحق أنهما مكيتان كما تقدم ا.هـ.

هذا هو كلام العلامة السيد رشيد - رحمه اللّه تعالى - في الحديث وتأويله، وهو كلام عالم فقيه جارٍ على نهج المحدثين الأصلاء، في الجرح والتعديل، والشرح والتعليل، وهو كلام إمام مصلح، حريص على البناء لا الهدم، وعلى التجديد لا التبديد، يعرف قدر السلف، ولا ينكر حق الخلف. يخالف شيخه، ولكنه يدافع عنه ويؤكد مقدار حبه وتوقيره لرسول اللّه ﷺ هذا هو العدل والإنصاف.[1]

(١) فتاوى معاصرة للدكتور القرضاوي (٢/ ١٥٠).